دِرَاسَةٌ نَظَرِيَّة فِي
مُصْطَلَحِ التَّفْسِيرِ وَإِشْكَالِيَّاتِهِ

Interpretation Term and its Controversies

أ.م.د. حَيْدَر مُصْطَفَى هَجَر

جامعة ذي قار . كلية الآداب

قسم علوم القرآن

البَاحِث سَاجِد صَبَّاح مَيْسَ العَسْكَرِي

بكلوريوس علوم القرآن

Asst. Prof. Dr. Heidar M. Hajar

Department of Quranic Sciences

College of Arts . University of Thiqar

Sajid S. AL-Askari

Bachelor of Quranic Sciences

ملخص بحث

لم يختلف اللغويون في معنى التفسير، فقد جاء على معنى واحد وهو الكشف والبيان والإيضاح، ولكن اختلف المفسرون في معناه اصطلاحا، فبعضهم يعرفه تعريفاً غير جامع وبعضهم يعرفه تعريفاً غير مانع، ومن أجل التوصل إلى معطيات صحيحة تساعد في معرفة تعريف التفسير وتقييم تلك التعريفات، قام البحث باستعراض مجموعة من التعريفات لمفهوم التفسير عند مجموعة من المفسرين قديماً وحديثاً، ثم قام بتحليل تلك التعريفات، فتوصل إلى مجموعة من المعطيات وهي:

١. التفسير علم: لأنه يحتوي على العناصر الموضوعية للعلم فهو مجموعة من القواعد والمبادئ ضمن منهج معين وله موضوع معين.

٢. التفسير: هو استخدام مجموعة من الآليات والقرائن من داخل النص وخارجه كاللغة وأسباب النزول ليتوصل لفهم الآية، وهذا كله في مرحلة البيان، فالتفسير على هذا يكون بمعنى المصدر.

٣. التفسير أسلوب وفن وطريقة عرض للتبيين والإقناع يعتمدها المفسر في بيان ما تحصل عليه من قناعات للمتلقي.

٤. التفسير بوصفه محصلة للعملية التفسيرية هو ما استقر عليه رأي المفسر بعد البحث التخصصي فهو على هذا يكون بمعنى اسم المصدر

وللتفريق بين مصطلحات الشرح والفهم والتفسير وعدم الخلط بينها قام البحث بتوضيح العلاقة بين الفهم والتفسير وبين الشرح والتفسير بعد أن يذكر المعاني اللغوية والاصطلاحية للفهم وللشرح، فتوصل إلى أن للعلماء اتجاهات في بيان العلاقة بين الفهم والتفسير منها:

اتجاه يرى أن العلاقة بين الفهم والتفسير علاقة ترابط، وأن التفسير طريق للفهم. واتجاه آخر: يرى أن نطاق الفهم هو عملية التفسير نفسها.

أما العلاقة بين الشرح والتفسير: فالتفسير أخص من الشرح بالمعنى الأعم، أما الشرح بالمعنى الأخص والذي يعني خصوص موضوع التفسير فهو طريق ومقدمة لعملية التفسير؛ لأن الشرح جزء من عملية التفسير فيختص ببيان المبادئ التصورية لمفردات النص القرآني وتراكيبه.

ABSTRACT

Grammarians never run into controversy in the interpretation meaning as it is to discover, manifest and explain; but the interpreters do in its meaning etymologically; the paper surveys certain definitions to the concept of interpretation for certain interpreters, old and new and differentiates between both perception and interpretation linguistically and etymologically; some believe that the relationship between them is concomitant ,some believe that the perception scope is similar to interpretation process.

... المقدمة ...

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله الطيبين الطاهرين وبعد...

مفهوم التفسير من المفاهيم التي اختلف العلماء في تحديد المراد منه فبعضهم يتوسع مما يجعل التعريف غير مانعٍ، وبعضهم لا يبين كل حدود التعريف فيكون غير جامعٍ، واختلفوا أيضا في بعض المصطلحات المتعلقة بالتفسير كالفهم والشرح ومدى علاقتهما بالتفسير اختلافا قد يصل حد التباين، وفكرة هذا البحث الموسوم بـ (دراسة نظرية في مفهوم التفسير)، تنطوي حول استعراض تعريف مفهوم التفسير عند مجموعة من المفسرين والمتخصصين في علوم القرآن، ومن ثم تحليل تلك التعاريف ونقدها للوصول إلى عدة نتائج يمكن أن تكون معطيات لتعريف التفسير، ثم بيان العلاقة بين التفسير والفهم وإشكالية الفهم البسيط والحاجة إلى التفسير، وثم بيان مصطلح الشرح وعلاقته بالتفسير.

أولاً: تعريف التفسير لغةً واصطلاحاً

التفسير في اللغة: جاء التفسير في كتب اللغة لمعانٍ متقاربة وهي: الكشف والبيان والإيضاح. قال الخليل: «الفسر التفسير وهو بيان وتفصيل للكتاب، والفسر هو اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء ويستدلون بلونه على علة العليل، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه هو التفسيرة»[١]. قال ابن فارس: «فسر كلمة واحدة تدل على بيان الشيء وإيضاحه، ومن ذلك الفسر، يقال فسرت الشيء وفسرته، والفسر نظر الطبيب للماء»[٢][٣]. وقال الفيومي: «فسرت الشيء من باب ضرب بينته وأوضحته، والتثقيل مبالغة»[٤]. وفي التهذيب: الفسر كشف ما غطي[٥]. وقال بعضهم: «التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل»[٦].

التفسير اصطلاحاً: عندما نبحث عن معنى التفسير في الاصطلاح نلحظ اختلافاً بين العلماء في تحديد هذا المفهوم، وفي ما يأتي نستعرض مجموعة من أقوالهم وتعريفاتهم لهذا المصطلح ومناقشتها بشيء من التحليل ومن ثم الخلوص إلى مجموعة من المعطيات التي نتحصل عليها من التعريفات:

١. **تعريف الراغب الأصفهاني:** التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره وحسب المعنى الظاهري وغيره[٧].

٢. **تعريف أبي حيان الأندلسي:** التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الافرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب، وتتمات لذلك[٨].

٣. **تعريف الزركشي**: التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من كتب اللغة النحو والصرف، وعلم البيان، وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ(٩).

٤. **تعريف السيد الطباطبائي**: بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها(١٠).

٥. **تعريف الطاهر بن عاشور**: التفسير هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع(١١).

٦. **تعريف السيد الخوئي**: هو إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز(١٢).

٧. **تعريف السيد مصطفى الخميني**: يقول فهو العلم بالمرادات والمقاصد الكامنة فيه بالإحاطة بها بقدر الطاقة البشرية، والإحاطة المطلقة غير ممكنة حتى لمن نزل عليه ﷺ وما جعله رسماً يرجع إلى انحلال علم التفسير الى العلوم المختلفة وعدم كونه علماً مستقلاً قبال سائر العلوم(١٣).

٨. **تعريف الشيخ فاضل اللنكراني**: هو كشف مراد الله تبارك وتعالى من ألفاظ كتابه العزيز وقرآنه المجيد، كاستكشاف مراد سائر المتكلمين من البشر من كتبهم الموضوعية لإفهام مقاصدهم وبيان مراداتهم سواء أكان التفسير بمعناه اللغوي مساوياً لهذا المعنى أم أخص من ذلك(١٤).

٩. **تعريف محمود رجبي**: والتعريف الأفضل كما يراه بعد مناقشة تعريف الراغب الأصفهاني هو: «بيان المفاد الاستعمالي لآيات القرآن وكشف مقاصد الله تعالى في هذه الآيات، استناداً إلى قواعد الأدب العربي وأصول المحاورة العقلانية»(١٥).

ثانياً: تحليل التعريفات ومناقشتها

يوسع بعض من دائرة التفسير فيجعل كل المعارف التي ترتبط بالقرآن تفسيراً فيدخل علوم القرآن في التفسير ومن أولئك أبو حيان الأندلسي إذ يقول: «علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن»، وهذا يتعلق بالمستوى الإقرائي والقرائي ويقول أيضاً في تتمة التعريف «... وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وتتمات لذلك»[١٦]، يعني كل ما يتعلق بأسباب النزول والمحكم والمتشابه والنسخ... الخ. فالتعريف ليس كما أراده تعريفاً منطقياً لأنه غير مانعٍ، فإن موضوع الآية وسبب النزول من علوم القرآن ودائرة علوم القرآن أوسع من التفسير.[١٧]

للتفسير وظيفتان أو مرحلتان:

١. **مرحلة الفهم (البيان)**: وهو أن يتضح للمفسر المراد من ظاهر لفظه معلومة للمرحلة الأخرى وهذا ما نجده في تعريف الزركشي: «علم يعرف به معاني كتاب الله»[١٨]، وفي هذه المرحلة يستخدم المفسر إمكانياته اللغوية وما يتعلق بالآية من أسباب نزول وغيرها ليتوصل إلى فهم معنى الآية وم قصدها.

٢. مرحلة التفهيم (التبيين): وفي هذه المرحلة يعمد المفسر بواسطة آليات ومهارات معينة إلى تفهيم النص للمتلقي الثاني الذي يتلقى القرآن الكريم من خلال المفسر، وهي أخص من سابقتها، إذ قد يفهم معاني الآيات ولكن لا يستطيع تفهيمها، وهذا الذي يشير إليه السيد الخوئي في تعريفه: «إيضاح مراد الله»[١٩].

فبناء على ما تقدم يتضح أن المراد بالتفسير ليس الفهم والبيان فقط، وإنما هو كيفية تفهيم وتوضيح وكشف معاني القرآن الكريم، وهذا الرأي هو الذي يميل إليه

أكثر العلماء عند النظر في تعريفاتهم المتقدمة ويعتبر بعضهم التفسير مرحلة واحدة وهي مرحلة التبيين والتفهيم، لأن البيان حاصل عند المفسر وهذا الأمر يتجلى بشكل واضح في الروايات التفسيرية التي تنقل عن المعصوم في مقام التبيين لا البيان لأن البيان حاصل عندهم، فهم القرآن الناطق، وهم الثقل الآخر فلم يفترقا حتى يوم الورود، ولعل المكاشفات التي تحصل لبعض العرفاء بغض النظر عن صحة هذا المنهج من عدمه دليل على ذلك، فالبيان حاصل عندهم، وعليه فالتفسير يضطلع بمهمة التبيين دون البيان لان البيان طريقه غير طريق التبيين فهو ما تحصل لديهم من إشراقات وكشف باستخدام الآليات المناسبة، فبناء على ما تقدم يتحصل لدينا أن وظيفة التفسير هي البيان والتبيين.

كثير من الأعلام يفرقون بين دلالة النص ومقصد المتكلم ولم يساووا بينهما فقد يتكلم المتكلم بكلام يحتاج إلى بيان في خارج النص مثلاً الحروف المقطعة في القرآن الكريم في أوائل السور ليس لها مرجعية لغوية فالنص بما هو نص لا يعطي معنى لتلك الحروف فلا بد من البحث عن معناها من خارج النص، وهذا ما أشار إليه السيد الخوئي في شرحه للتعريف فهو لم يحصر طريق التفسير بالقرآن فقط بل زاد ما يمكن أن يدرك من العقل الصريح وروايات أئمة الهدى[٢٠]، في الوقت الذي يرى السيد الطباطبائي أن ليس هناك فرق بين دلالة النص ومقصد المتكلم فالكتاب فيه درجة من الوضوح يمكن أن يكون كاشفاً بنفسه عن مراد المولى من دون الحاجة إلى طرق الكشف الأخرى[٢١]، فحل السيد الطباطبائي هذا الأشكال من خلال الرجوع للقرآن الكريم فرأى أن هناك ترابطاً كبيراً بين الحروف المقطعة ومضامين السور التي وردت فيها ولا بد من الربط بينهما[٢٢]، وتلك المضامين كافية للكشف عن المعاني الإجمالية للقرآن الكريم كافة. وعلى ذلك فإن الاتجاه الأول يحتاج الى خارج النص للتفسير وأما الاتجاه الثاني فلا يحتاج الى غير القران لتفسيره.

بعض المفسرين لا يرون ضرورة في كون معنى اللفظ الوارد في القرآن الكريم وهو نفس المعنى اللغوي للفظ،وهذا ما يشير اليه الشيخ فاضل اللنكراني بقوله: «... سواء أكان التفسير بمعناه اللغوي مساوياً لهذا المعنى أو أخص من ذلك»[٢٣]، ومحمد رجبي بقوله: «بيان المفاد الاستعمالي»[٢٤]، فليس بالضرورة أن يكون بينهما مستوى من التساوي مثلاً قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيْمْ﴾[٢٥]، فالرحمة في اللغة تعني رقة القلب والتي تقتضي الإحسان[٢٦]، ولكننا عندما نصف الذات الألهية بهذا المعنى يستلزم ذلك التركيب والاحتياج سمة الإمكان والله سبحانه واجب الوجود[٢٧] لذا نجد أن هناك تبايناً بين المعنى اللغوي* والمعنى الاستعمالي لكلمة (الرحمة).

تأثر بعض المفسرين بخلفياته العلمية التي انطلق منها لتنعكس على تعريف التفسير، مثلاً نجد أن السيد الخوئي وبسبب تأثره بمباني الفقه والأصول والتي تقول بحجية الخبر الواحد في كونه منجزاً ومعذراً فاعتبر الخبر الواحد في التفسير وجعله حجة كالقطع[٢٨]. يرى بعض المفسرين أن التفسير هو البحث عن معنى اللفظ بما هو لفظ، ويرى بعضهم هو البحث في المستوى التركيبي، ويرى بعض أنه البحث في الإرادة الجدية أو هو بحث في المقاصد، فمثلاً الطاهر بن عاشور يشير في تعريفه إلى مدلولات النص بقوله: «هو اسم للعلم الباحث عن معاني ألفاظ القرآن»[٢٩]، ويشير إلى ذلك الزركشي بقوله: «علم يعرف به معاني كتاب الله»[٣٠]، وأكثر التعريفات التي ذكرناها تشير إلى أن التفسير هو البحث عن مقاصد ومرادات المولى، لأنه قد لا تكون المشكلة في فهم النص من حيث اللفظ والمعنى ولكن المشكلة تكمن في تحديد المقصد، فنرى أن الكثير من المفسرين يبتعد عن تلك المقاصد التي أرادها الله سبحانه، ولعل السبب الذي يجعله يبتعد عن المراد الإلهي هي القبليات[٣١] والمسّبقات التي تضغط على المفسر وتوجهه بحسب ما يعتقد به، مثلاً عندما يأتي الفخر الرازي لتفسير الآية ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي

﴿الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩)، فبعد أن استنتج منها دلالة على العصمة وعلى طاعة المعصوم تخبط في تحديد المصداق لتلك الآية فرأى أن الأمة معصومة عن الخطأ استناداً على حديث لا تجتمع أمتي على الخطأ[٣٢] فجعل مصداق الآية الأمة[٣٣].

ويمكن أن نلحظ الزيادة في تفسير الشيخ فاضل اللنكراني بما ذكره في قوله: «كتابه العزيز وقرآنه المجيد»[٣٤]، إلا أن يكون الشيخ قد أراد أن يشير إلى مراتب القرآن الكريم[٣٥]، فيريد من قوله كتابه العزيز هو القرآن في أم الكتاب أو في تلك العوالم الغيبية، ومن قوله قرآنه المجيد المرتبة الوجودية التي بين أيدينا وهي مرتبة الوجود اللفظي. لو عقدنا مقارنة بين تعريفات المفسرين لوجدنا أن هناك نقاط اشتراك ونقاط افتراق بين التعريفات. فلو عقدنا مقارنة بين تعريف السيد الطباطبائي والسيد الخوئي لوجدنا أنمن نقاط الاتفاق هي:

١. كلاهما يرى أن التفسير وظيفته التبيين والتفهيم.
٢. كلاهما يرى أن التفسير أعلى من مرحلة الشرح بل هو بيان مراد الله ومقصده.

ومن نقاط الافتراق:

١. السيد الخوئي في تعريفه يقدم الغاية على مقدمتها فقدم المقصدية على الوسيلة (الكتاب)، بينما السيد الطباطبائي يبدأ بالوسيلة ثم المقصدية ويرى بعضهم أن تقديم المقصدية فيه مشكلة لأن المداليل ألصق بالبعد اللغوي والمعاني ألصق بالبعد المقصدي فلو كان لفظ المداليل عند السيد الطباطبائي بدل المعاني كان التعريف أفضل لأن مرتبة المعاني أعلى من مرتبة المداليل.

٢. السيد الخوئي يفرق بين دلالة النص وبين مقصد المتكلم، بينما السيد الطباطبائي يساوي بينهما، لأن السيد الخوئي يرى أن بعض الكلام لا يمكن الكشف عنه

من النص نفسه فلابد للبحث عنه من خارج النص، وأما السيد الطباطبائي فيرى أن القرآن الكريم كاشف عن المراد الإلهي بنفسه من دون الحاجة إلى طرق الكشف الأخرى.

ولو عقدنا مقارنة بين تعريفي التفسير عند أبي حيان الأندلسي والزركشي لوجدنا الآتي:

١. كلاهما يعرف التفسير بالعلم لأنهما يريان أن التفسير مجموعة من القواعد التي لها موضوع معين.
٢. كلاهما توسع في تعريف التفسير فذكرا قيوداً إضافية في تعريفيهما، فأبو حيان الأندلسي يوسع من دائرة التفسير ليجعلها تشمل علوم القرآن الأخرى وبذلك يكون تعريفه غير مانعٍ ويلتمس ذلك من قوله (وتتمات لذلك) فيقصد بها اسباب النزول والنسخ... الخ، أما الزركشي فيذكر قيوداً إضافية ليدمج بين تعريف التفسير وشروطه إذ يقول: «واستمداد ذلك من كتب اللغة النحو والصرف، وعلم البيان، وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ»[٣٦] فإن توفر هذه الأدوات من شروط المفسر وليست قيداً في تعريف التفسير.

المعطيات التي يمكن الحصول عليها في ضوء ما تقدم: من مجموعة التعريفات المتقدمة والتحليل الذي تقدم نستلخص معطيات عدة:

١. العمل التفسيري فيه بعد علمي وبعد فني. فالبعد العلمي يختص بمرحلة البيان من طريق جمع القرائن والآليات التي تساعد على فهم الآية. والبعد الفني يختص بمرحلة التبيين باستخدام الوسائل وطريقة العرض المناسبة والتي يمكن للمفسر أن ينقل ما توصل اليه في مرحلة البيان والفهم إلى المتلقي.

٢. يمكن أن نطلق على علم التفسير عدة تعبيرات من خلالها يمكن أن نصل إلى تعريف دقيق للتفسير وهي:

أ. التفسير علم: لأنه يحتوي على العناصر الموضوعية للعلم فهو مجموعة من القواعد والمبادئ ضمن منهج معين وله موضوع معين[٣٧].

ب. التفسير إجراء بالمعنى المصدري:أي هو استخدام مجموعة من الآليات والقرائن من داخل النص وخارجه كاللغة وأسباب النزول ليتوصل إلى فهم الآية وهذا كله في مرحلة البيان.

ج. التفسير أسلوب وفن وطريقة عرض للتبيين والإقناع حتى يوصل المفسر ما تحصل لديه في مرحلة البيان إلى المتلقي وتسمى هذه المرحلة مرحلة التبيين.

د. التفسير محصلة بالنظر إلى ناتج العملية التفسيرية.

إذن التفسير: هو علم وظيفته بيان وتبين مقاصد الله سبحانه من طريق مجموعة من الوسائل والقواعد والقرائن الداخلية والخارجية للنص.

العلاقة بين الفهم والتفسير

الفهم في اللغة: قال ابن فارس: «فهم: علم الشيء. كذا يقولون أهل اللغة»[٣٨]، وفي لسان العرب (الفهم: معرفتك الشيء بالقلب، فهمه فَهْما وفَهَما وفهامة: علمه. الأخيرة عن سيبويه: وفهمت الشيء: عقلته وعرفته. وفهّمت فلانا وأفهمته، وتفهّم الكلام: فهمه شيئا بعد شيء. ورجل فهم: سريع الفهم، ويقال: «فهْم وفهَم، وأفهمه الأمر وفهّمه إيّاه: جعله يفهمه، واستفهمه: سأله أن يفهمه وقد استفهمني الشيء

فأفهمته وفهّمته تفهيما»[٣٩]. وقال مصطفوي: «إنّ الأصل الواحد في المادّة: هو إدراك أمر عن التعقّل في شيء، سواء كان ذلك الشيء كلاماً أو موضوعاً خارجيّاً»[٤٠].

الفهم اصطلاحاً: عرف مصطفوي الفهم فقال: «هو الاستنتاج العلمي والإدراك عن شيء مسموع أو مرئيّ أو بمنزلتهما. والعلم أعمّ منه، الفهم مقدّمة وباعث لحصول العلموالمعرفة، وليس بعلم، فلا يقال إنّه كثيرالفهم، كما يقال إنّه كثير العلم والمعرفة»[٤١]، وعرفه غيره: هو تصور المعنى مع اللفظ[٤٢].

ويمكن مناقشة علاقة التفسير بالفهم باتجاهين:

١. **الاتجاه الأول**: يرى أصحابه أن العلاقة بين الفهم والتفسير علاقة ترابط، وأن التفسير طريق الفهم، كما في كتاب (جدلية الفهم والتفسير في فلسفة بول ريكور)، والذي يبحث عن العلاقة والرابطة بين الفهم والتفسير إذ يقول: «أن الفهم لا يتحقق ما لم يكن معتمداً على التفسير»[٤٣]، فهو يرى أن التفسير وظيفته الفهم، فيجعل التفسير من أهم شروط الفهم هو التفسير؛ لذا يقول: «الفهم الذي يضع له شروطاً ووظائف وأهمها هو ربطه بالتفسير ربطاً جدلياً، حيث الفهم المبني على التفسير يتحول إلى استيعاب، ودون التفسير يظل الفهم تكهناً»[٤٤]، ويعرف بول ريكور التفسير بأنه: «القدرة على الإفهام ويعني أيضاً التوضيح والعرض وشرح مشكلة معينة أو مشروع...»[٤٥].

فالتفسير عموماً يفيد التحليل والتشريح والتفسير، وفي كتاب دراسات في النص القرآني، بحث الهرمونطيقا وعلم التفسير بحث مقارن لمحمد بهرماي، يتناول فيه علاقة التفسير بالفهم ويشير إلى مجموعة نصوص مهمة ذكرها العلماء في خصوص العلاقة بين الفهم والتفسير[٤٦] ومن تلك النصوص ما ذكره الزركشي

وهو يتحدث عن وسائل الفهم فيقول: «التفسير كشف المغلق من المراد بلفظه، وإطلاق للمحتبس عن الفهم به»[٤٧] ثم يقول محمد بهرماي: «كما يرى الزركشي أن التفسير هو الباب الذي يفضي إلى الفهم»[٤٨]، لذا يقول الزركشي: «من دعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر، فهو كمن أدعى البلوغ إلى صدر البيت وهو لم يتجاوز الباب، فظاهر التفسير يجري مجرى اللغة التي لابد منها للفهم»[٤٩].

ويذكر في البحث أيضاً نص محمد باقر الصدر: «إن هدف التفسير التجزيئي في كل خطوة من خطواته هو فهم مدلول الآية القرآنية أو القطعة القرآنية التي يواجهها المفسر بكل الوسائل الممكنة»[٥٠]، ثم ينقل قول الزرقاني عندما يتحدث عن الغاية من التفسير يقول: «نهضة الأفراد والأمم لايمكن أن تكون صحيحة عن تجربة، ولا سهلة متيسرة، ولا رائعة مدهشة، إلا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن ونظمه الحكيمة التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشري على ما أحاط به علم خالقه الحكيم. وبديهي أن العمل بهذه التعاليم لا يكون الا بعد فهم القرآن وتدبره، والوقوف على ما حوى من نصح ورشد، والإلمام بمبادئه عن طريق تلك القوة الهائلة التي يحملها أسلوبه البارع المعجز، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدل عليه ألفاظ القرآن « وهو ما نسميه بعلم التفسير »[٥١].

أما العلامة الطباطبائي فيقسم الفهم إلى: فهم عادي عرفي، وفهم علمائي واع، ويرى العلامة الطباطبائي انه ليس هناك آية في القرآن غير قابلة للفهم لان القرآن بين و واضح، إذ يقول: «وحاشاً أن يكون القرآن تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه»[٥٢]، كما أنه يرى أن الفهم العادي قد يكون معوقا تفسيرياً فلا بد من فهم الآيات فهما واعيا وان لا نقتصر في فهمها على الفهم العادي لذا يقول: «إن الاتكاء والاعتماد على الأنس والعادة في فهم معاني الآيات يشوش المقاصد منها ويختل به

أمر الفهم كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وقوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، وقوله: ﴿سُبْحانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. وهذا هو الذي دعا الناس إلى أن لايقتصروا على الفهم العادي والمصداق المأنوس به الذهن في فهم معاني الآيات كما كان غرض الاجتناب عن الخطاء والحصول على النتائج المجهولة هو الذي دعا الإنسان إلى أن يتمسك بذيل البحث العلمي»[٥٣].

وقد يثار إشكال على ما طرحه السيد الطباطبائي مفاده: إذا كان القرآن بين وليس فيه غموض ويمكن الجميع فهمه، ومما تقدم عرفنا أن التفسير طريق الفهم فيكون كل شخص مفسرا ولا نحتاج إلى التفسير. **وللجواب على الإشكال نقول:** إن الفهم الذي يقصده السيد الطباطبائي هو الفهم البدوي فلا توجد آية غير مفهومة فهم بدوي الفهم الأولي البسيط، أما الفهم الذي يكون طريقه التفسير فيسمى التفسير الواعي، وهذا لا يحصل لكل شخص لأن ذلك يتوقف على شروط عديدة ذكرها العلماء في باب شروط المفسر.

٢. **الاتجاه الثاني**: يرى أصحابه أن نطاق الفهم هو عملية التفسير نفسها كما هو عند هيرش: «الفهم في هيرمينوطيقا هيرش يماثل إلى حد ما الفهم الواعي الناتج من التفسير»[٥٤] ويرى أن فهم النص يكون من النص نفسه: (ليس مناسبا وحسب لفهم اي كلام أن يستند الفهم إلى الكلام نفسه بل يعد ضروريا ولازما)[٥٥].

العلاقة بين الشرح والتفسير

الشرح في اللغة: جاء الشرح في اللغة الكشف والإيضاح والبسط، فقد جاء في جمهرة اللغة، «والشرح من قولهم شرحت لك الأمر أشرحه شرحاً إذا أوضحته وكشفته»[٥٦]، وقال ابن فارس: «شرح: أصل يدلّ على الفتح والبيان. من ذلك

شرحت الكلام وغيره شرحا: إذا بيّنته. واشتقاقه من تشريح اللحم»[٥٧]، وجاء في مفردات الراغب الأصفهاني: «شرح: أصل الشرح: بسط اللحم ونحوه، يقال شرحت اللحم وشرّحته، ومنه شرح الصدر أي بسطه بنور إلهيّ وسكينة من جهة اللَّه و روح منه. وشرح المشكل من الكلام: بسطه وإظهار ما تخفى من معانيه»[٥٨]، وقال الفيومي: «شرح اللَّه صدره للإسلام شرحاً: وسّعه لقبول الحقّ، وتصغير المصدر شريح وبه سمّي. وشرحت الحديث شرحاً: بمعنى فسّرته وبيّنته و أوضحت م عناه. وشرحت اللحم: قطعته طولا، والتثقيل مبالغة وتكثير»[٥٩]، ويقول مصطفوي: «إنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو بسط مخصوص في موضوع، ويقابله القبض. وأمّا مفاهيم التبيين والفتح والتفسير والتوضيح والتوسيع وغيرها: فإنما هي باعتبار البسط في موضوع»[٦٠]. والبسط في موضوع يعني للشرح معنى يختلف بحسب الموضوع الذي يستعمل فيه فإذا استعمل الشرح في القرآن سمي تفسيراً، وإذا اختص بشرح اللحم سمي تقطيعاً... الخ.

ومما تقدم تتبين العلاقة بين التفسير والشرح:

الشرح بالمعنى الأعم: البسط في موضوع، وبهذا المعنى يكون الشرح أعم من التفسير، إذ إن التفسير مصداق من مصاديق الشرح فهو شرح بلحاظ موضوع معين، لذا يقول مصطفوي: «هوشرحمعتوضيح»[٦١].

الشرح بالمعنى الأخص: الشرح في خصوص موضوع التفسير فيختص ببيان المبادئ التصورية للقرآن الكريم سواء كانت على المفردة أم التركيب، فيكون الشرح بياناً مقدماتياً ومُعِدّاً لعملية التفسير، فدور الشرح التفكيك ثم يأتي بعد ذلك البناء، وأشار الى هذا المعنى الذهبي بقوله: «اختلف العلماء في علم التفسير: هل هو من قبيل التصورات أو من قبيل التصديقات؟ فذهب بعضهم إلى أنه من قبيل التصورات،

لأن المقصود منه تصور معاني ألفاظ القرآن، وذلك كله تعاريف لفظية»، وقد صرَّح بهذا الحكيم على المطوَّل حيث قال: «وما قالوا من أن لكل علم مسائل فإنما هو في العلوم الحكمية، وأما العلوم الشرعية والأدبية فلا يتأتى في جميعها ذلك، فإن علم اللغة ليس إلا ذكر الألفاظ ومفهوماتها، وكذلك التفسير والحديث». وذهب السيد: «إلى أن التفسير من قبيل التصديقات، لأنه يتضمن الحكم على الألفاظ بأنها مفيدة لهذه المعاني، وعلى هذا يكون التفسير عبارة عن مسائل جزئية، مثل قولنا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب لأهل مكة، و ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب لأهل المدينة، والاسم، معناه: الدال على المسمى، والله، معناه: الذات الأقدس، والرحمن، معناه: الحسن... وغير ذلك، ولاشك أن هذه قضايا جزئية»[٦٢].

... الخاتمة ...

مما تقدم يمكن أن نستنتج نتائج عدة وهي:

١. هناك تباين في مفهوم التفسير عند العلماء سبب التباين يرجع إلى الاختلاف في المباني التي يتبناها كل مفسر عندما يريد أن يفسر القرآن فيرى بعضهم أن التفسير هو الفهم فقط بينما يرى بعض آخر أن التفسير هو التفهيم دون الفهم كالعرفاء، وآخرون يرون أن التفسير هو كلا الأمرين، ومنهم من يرى أن مصدر التفسير هو القرآن نفسه ومنهم من يرى أنه لابد من مصادر خارجية لتفسير القرآن الكريم.

٢. من معطيات التعريفات التي ذكرها العلماء يمكن أن نستنتج أن التفسير علم لأنه يحتوي على العناصر الموضوعية وأسلوب وفن لأنه يحتوي على العناصر الذاتية التي تتمثل في طريقة العرض والتبيين وهو إجراء ومحصلة بالنظر للنتائج التي يتحصل عليها من التفسير.

٣. الفهم بالمعنى الأعم يشمل التفسير وغيره وبالمعنى الأخص يكون التفسير أعم منه لأن الفهم مرحلة من مراحل التفسير لأن التفسير يحتوي على مرحلتين: مرحلة الفهم ومرحلة التفهيم.

٤. الشرح له معنيان معنى أعم وهو البسط في موضوع أما معناه الأخص في علم التفسير فهو بيان المبادئ التصورية للمفردات والتراكيب وهو مقدمة للتفسير وجزء منه.

٥. هناك طريقان لتفسير علاقة التفسير بالفهم: الأول يرى أن التفسير طريق الفهم، والثاني يرى أن عميلة التفسير هي الفهم نفسه.

---

١. العين، الفراهيدي:٧/ ٢٤٨.
٢. معجم مقاييس اللغة:٤ / ٥٠٤.
٣. بناء على النظرية التي ترى أن التطور الحاصل في الأصل بدأ من المستوى الحسي إلى المستوى المعنوي فأن من المرجح أن يكون الذي أخذت منه مادة التفسير هو ذلك السائل الذي ينظر فيه الأطباء ليكتشفوا من خلاله المرض، وبهذا يكون دليلاً على حال صاحبه من المرض والسقم، ثم انتقل اللفظ من دلالته الحسية إلى ما يلزم عنه وهو النظر في الأشياء بغية الكشف عنها فتحول من اسم للذات إلى معنى مجرد يتعلق بالكشف والبيان.
٤. المصباح المنير٣ / ٤٧٢.
٥. تهذيب اللغة ١٢/ ٤٠٦-٧.
٦. ينظر: لسان العرب: ٥/ ٥٥، مجمع البحرين للطريحي: ٣/ ٤٣٨، تاج العروس للزبيدي: ٧/ ٣٤٩.
٧. البرهان للزركشي:٢/ ١٤٩.
٨. تفسير البحر المحيط:١/ ١٢١.
٩. البرهان في علوم القرآن:١/ ١٣.
١٠. الميزان في تفسير القرآن١:/ ٤.
١١. التحرير والتنوير:١/ ١١.
١٢. البيان في تفسير القرآن١٩٧.
١٣. تفسير القرآن الكريم:١/ ٤.
١٤. مدخل التفسير، فاضل اللنكراني: ١٨٤، ويلاحظ عليه:أن التعريف مقتبس من تعريف السيد الخوئي ففي كتابه الكثير من الاقتباسات من السيد الخوئي.
١٥. بحوث في منهج تفسير القرآن، محمود رجبي: ١٩.
١٦. تفسير البحر المحيط:١/ ١٢١.
١٧. بعض العلماء يجعل التفسير علماً مستقلاً وبعضهم يجعله ضمن علوم القرآن، ينظر: دروس منهجية في علوم القرآن، رياض الحكيم:٧.
١٨. البرهان للزركشي: ٢/ ١٤٩.

١٩. البيان في تفسير القرآن: ١٩٧.
٢٠. ينظر البيان في تفسير القرآن: ٣٩٧ – ٣٩٩.
٢١. ينظر الميزان في تفسير القرآن: ١ / ١١.
٢٢. ينظر المصدر السابق:١٨/ ٦.
٢٣. مدخل التفسير: ١٨٤.
٢٤. بحوث في منهج تفسير القرآن، محمود رجبي: ١٩
٢٥. الفاتحة: ٣.
٢٦. ينظر الصحاح: ٥/ ١٩٢٩.
٢٧. واجب الوجود: هو ما كان وجوده من عين ذاته ولا يحتاج لغيره لكي يوجد، ينظر: محاضرات في الإلهيات، جعفر السبحاني: ٢٥.
٢٨. ينظر البيان، السيد الخوئي:٣٩٨.
٢٩. التحرير والتنوير: ١/ ١١.
٣٠. البرهان، الزركشي:١/ ١٣.
٣١. القبليات: هي المسّبقات الذهنية التي تحصل من التخصص في مجال معين أو الركون الى عقيدة أو نظرية معينة.
٣٢. ينظر مسند أحمد: ٦/ ٣٩٦.
٣٣. ينظر التفسير الكبير، فخر الدين الرازي: ١٠ / ١٤٥.
٣٤. مدخل التفسير: ١٨٤.
٣٥. القرآن الكريم كالوجود بشكل عام له مراتب وجودية متعددة في عوالم الغيب لذا قال الله تعالى ﴿**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ فالقرآن في ام الكتاب أكثر تجرداً لذا عبر عنه علي عظيم.
٣٦. البرهان، الزركشي: ١/ ١٣.
٣٧. موضوع التفسير هو القرآن الكريم بوصفه لفظاً دالاًعلى معنى.
٣٨. معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٤٥٧.
٣٩. لسان العرب: ١٢/ ٤٥٩.
٤٠. التحقيق في كلمات القرآن، مصطفوي: ٩/ ١٤٨.
٤١. المصدر السابق.
٤٢. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون:٣٥.
٤٣. جدلية الفهم والتفسير، بول ريكور:٧٤.

٤٤. المصدر السابق.
٤٥. المصدر السابق:١٠٩.
٤٦. دراسات في تفسير النص القرآني:٥٥ وما بعدها.
٤٧. البرهان في علوم القران، الزركشي:٢/ ١٤٧.
٤٨. دراسات في تفسير النص القرآني: ٥٧.
٤٩. البرهان في علوم القران، الزركشي:٢/ ١٥٥.
٥٠. مقدمات في التفسير الموضوعي، محمد باقر الصدر: ١١
٥١. مقدمة تفسير الجلالين: ٨
٥٢. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١/ ١١.
٥٣. المصدر السابق.
٥٤. دراسات في تفسير النص القرآني: ٥٩.
٥٥. المصدر السابق.
٥٦. جمهرة اللغة: ٥١٣.
٥٧. معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٢٦٩.
٥٨. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٤٤٩.
٥٩. المصباح المنير، الفيومي: ١/ ٣٠٨.
٦٠. التحقيق في كلمات القرآن، مصطفوي: ٦/ ٣١.
٦١. المصدر السابق: ٩/ ٨٦.
٦٢. التفسير والمفسرون، الذهبي: ٢٥.

المصادر والمراجع

القران الكريم.

١. بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم، محمود رجبي، ط١، ٢٠٠٧، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

٢. البرهان في علوم القران، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ط١، ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاءه.

٣. البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الخوئي، ط٤، ١٩٧٥م، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤. تاج العروس، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، (ت١٢٠٥) تحقيق: علي شيري، ١٩٩٤م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٥. تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٣٩هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٨٧م.

٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط١، ١٩٨٤م، الدار التونسية للنشر، تونس.

٧. التحقيق في كلمات القرآن، حسن المصطفوي، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

٨. تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، ط١، ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩. تفسير الجلالين، جلال الدين أحمد بن محمد المحلى (ت ٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) تقديم ومراجعة: مروان سوار، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٠. تفسير القرآن الكريم، مصطفى الموسوي الخميني، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الإرشاد الإسلامي.

١١. التفسير الكبير الفخر الرازي، ط١، ١٤٠١هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.

١٢. التقسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي (ت١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة.

١٣. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١ لالام.

١٤. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد (ت ق١٢هـ) عرب عبارته الفارسية:

حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
١٥. جدلية الفهم والتفسير في فلسفة بول ريكور، زهر عقيلي، منشورات ضفاف، دار الأمان، الرباط، ط١.
١٦. دراسات في تفسير النص القرآني، مجموعة باحثين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط١، ٢٠٠٧م، بيروت.
١٧. علوم القران دروس منهجية، رياض الحكيم، دار الهلال، ط٣، ٢٠٠٦م.
١٨. العين، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ايران، قم، ط٢، ١٤٠٩هـ.
١٩. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (٧١١هـ)، ١٤٠٥، نشر أدب الحوزة.
٢٠. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (١٠٨٥هـ)، ط٢، ١٣٦٢ش، مرتضوي.
٢١. محاضرات في الإلهيات، جعفر السبحاني، تلخيص علي الرباني الكلبكاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط٨، ١٤٢٦هـ.
٢٢. مدخل التفسير، الشيخ محمّد الفاضل اللنكراني، تحقيق و نشر: مركز فقه الأئمّة الأطهار عليهم السلام.
٢٣. مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.
٢٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد المقري الفيومي(ت٧٧٠هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٥. معالم التنزيل في التفسير والتأويل، حسين بن مسعود الفراء البغوي (ت٥١٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
٢٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٤٠٤هـ، مكتبة الإعلام الإسلامي.
٢٧. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ)، تحقيق صفوان عدنان داودي، ط٢، ١٤٢٧هـ، طليعة النور.
٢٨. مقدمات في التفسير الموضوعي، محمد باقر الصدر، دار التوجيه الإسلامي، بيروت. كويت.
٢٩. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.